

لماذا يعتبر مصير أوديسا أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة لنا جميعًا

كتبه بيل ترو | 12 يونيو 2022



ترجمة وتحرير: نون بوست

تحدث بيل ترو إلى أولئك الذين يتطلعون إلى حماية مدينتهم المحاصرة وتستكشف التأثير الذي سيحدثه الحصار المفروض على الميناء، على العالم كله.

وقال أنطون تشيخوف مازحًا إنه صرف نصف راتبه على الآيس كريم في المدينة، فيما كتب ألكسندر بوشكين أجزاء من تحفته الشعرية “يوجين أونجين” هناك، وكتب نيكولاي غوغول، أثناء قضائه الشتاء في المدينة، كما سيصبح في نهاية المطاف الجزء الثاني المهمل من “ديد سولز” في شقة بالقرب من سلام بوتيمكين.

هؤلاء العظماء الأدبيون هم فقط بعض الشخصيات التاريخية التي تدعي روسيا انتماءهم إليها، لكنهم ينحدرون من مدينة أوديسا الأوكرانية، التي أسستها الإمبراطورة كاترين العظيمة سنة 1794 كجوهر في تاج إمبراطوريتها؛ إنه تاريخ أوديسا الرومانسي الذي يهيمن عليه الروس، مما يجعلها

منذ أن أمر بوتين بغزو أوكرانيا في 24 شباط/فبراير، كانت عينه على أوديسا، "لؤلؤة البحر الأسود" التي تعد حتمًا أكبر ميناء تجاري في أوكرانيا، وشريان حياة الإمدادات، والبوابة الرئيسية الناطقة بالروسية للشمال والغرب.

لن يكون الاستيلاء المحكم على المدينة كارثة رمزية واقتصادية لأوكرانيا فقط؛ بل إنه من المحتمل أن يتسبب في تفاعل الدومينو أو التفاعل التسلسلي الذي لن يسرع من سقوط جزء كبير من البلاد فحسب؛ ولكن يمكن أن يكون لها تأثير على العالم. ويخشى الكثير من أنه قد يشكل أيضًا جسرًا بريًا إلى المناطق الانفصالية المدعومة من روسيا في دولة مولدوفا المجاورة.

حتى الآن؛ كما يتضح من انخفاض نيران الدفاع الجوي الصادرة من الشواطئ، نجحت القوات الأوكرانية في منع الهجوم الروسي من التحرك على المدينة الساحلية، ولكنهم ليسوا بعيدين؛ فقد احتلت القوات الروسية المدن الساحلية الرئيسية مثل خيرسون، التي تقع على بعد 90 ميلًا فقط إلى الشرق، بالإضافة إلى بيرديانسك وماريوبول.



تفتقر كييف - التي تفوقت من ناحية الأسلحة - إلى القوات العسكرية والمعدات اللازمة لتحرير تلك البلدات، ولكن هذا يعني أنه مهما كانت مليئة بالجنود والأسلحة، ومهما كانت شواطئها ومياهها مزروعة بالألغام، ومهما تجاوزت الاكتتاب في الدفاع الإقليمي والمدني فإن أوديسا دائما تحت تهديد الهجوم، كما يقول نائب رئيس البلدية أوليغ برينداك، الذي صرح لصحيفة إنديبننت قائلا: "تريد روسيا أن تجعلها عاصمة لأراضيهم التي تم الاستيلاء عليها في جنوب أوكرانيا، لكنهم فشلوا حتى

الآن، ولهذا السبب غيروا إستراتيجيتهم لضرب أهداف مدنية وليست عسكرية الآن"، حيث قال هذا وهو يقف أمام التمثال المغطى بأكياس الرمل لحاكم المدينة من القرن التاسع عشر، دوك دي ريشيليو، والذي ينتصب أعلى سلال بوتيمكين الشهيرة، وخلفه يُسمع صوت إطلاق نار بعيد في الخلفية.

كما يدعي برينداك أن "أوديسا تعني لهم كل شيء. لكن في الواقع؛ لقد حققوا عكس أهدافه، فقد كانت المدينة من قبل مقسمة حسب وجهات نظر وسياسة وقوى مختلفة، لكن الجميع اجتمعوا، فنحن متحدون وسنقف ونقاتل".

ولا تزال المدينة تتعرض لهجوم متقطع؛ حيث ويقول أعضاء من الإدارة العسكرية لـ "إندبندنت": "إن السفن الروسية تضرب بانتظام الخط الساحلي، في محاولة لتدمير دفاعات المدينة. ومع ذلك؛ بعد حالة الهلع الأولية في بداية الحرب، خرج سكان أوديسا إلى حد كبير من سرايبيهم التي اضطروا للاختباء بها، حتى شوارع المدينة، حيث آثار أكياس الرمل - مثل تمثال كاترين العظيم، ودار الأوبرا للقرن التاسع عشر - تتلأأ مع ضوء الشمس.

على الرغم من الصغير المتقطع لصفارات الإنذار من الغارات الجوية، فإن المتاجر والمطاعم والحانات مفتوحة الآن ومشغولة؛ فقد بدأ الإيقاع من جديد. وإلى جانب سوق الكتب المفتوح في المدينة المكتظ بالناس، يحيي مقهى الجاز أمسيات موسيقية من شرفته، حتى أثناء تنسيقهم لإنشاء سترات واقية من الرصاص محلية الصنع.



وتم تحويل صالات الألعاب الرياضية إلى ساحات تدريب للمدنيين لتعلم كيفية الدفاع عن أنفسهم

بأسلحة صغيرة بدائية، فيما لا يزال الشاطئ عبارة عن حزام ناقل لا نهاية له من أكياس الرمل الطريقة، مع عزف الموسيقيين المحليين للموسيقى للحفاظ على معنويات المتطوعين، كما تعتبر التراجع والاستعداد كلمات شائعة.

“لماذا ي، فترض أن أرحل بحق الجحيم؟” يسأل روبرتو أرمارولي، وهو طاه إيطالي عالمي، داخل مطعمه الشهير الواقع تحت الأرض. فعلى الرغم من مناشدات سفارته للإخلاء فقد بقي في مكانه، ويساعد الآن في مبادرات تطوعية؛ تذهب ارباح مطعمه إلى الجيش الأوكراني كما يقول أرمارولي إنه لاحظ تغيرًا كبيرًا منذ اندلاع الحرب قبل أكثر من 100 يوم: “قد بدأ الناس يتحدثون الأوكرانية على الرغم من أن أوديسا مدينة يغلب عليها الطابع الروسي. ويضيف أن الفصائل السياسية المشحونة السابقة، حتى تلك التي كانت موالية لروسيا، اجتمعت ضد الغزاة، لقد حقق بوتين معجزة توحيد أوكرانيا، ولذا من الممكن أن يفوز بالقتال لكنه لن يفوز بقلوب الأوكرانيين. ستكون هناك معارك مناصره قادمة.”

هذا ما رددته مارينا فاسيلوك، 30 سنة، وهي منظمة سابقة للحفلات تقضي الآن يومها في تنسيق ما يقرب من 1000 متطوع يصنعون أكياس الرمل لإرسالها إلى الجبهة، حيث تؤكد أن المعنويات عالية حيث يقومون بتعبئة الأكياس، على الرغم من حقيقة أن السفن الروسية تتمايل في الأفق.

وتقول: “حتى في الأيام الأولى من الحرب، أظهر الناس قدرًا كبيرًا من وحدة الصف والشجاعة، وما زالوا يفعلون ذلك، إنهم يريدون أوديسا لأنهم يريدون إيقاف سفننا، وإيقاف مركز المساعدة الإنسانية لدينا، وإيقاف صادراتنا، وتضييق الخناق من خلال حصارنا. لا يمكننا ولن نسمح بحدوث ذلك.”

المشكلة التالية التي تلوح في الأفق في جنوب أوكرانيا هي محصول القمح المقرر جمعه الشهر المقبل، فحتى لو لم تتقدم روسيا خطوة واحدة داخل أوديسا، فإن سيطرة موسكو على الموانئ والبحار المجاورة إلى الشمال الشرقي، وحاجة الأوكرانيين للدفاع عن مياهمهم، كان لهما بالفعل تأثير مدمر على الصادرات والأمن الغذائي العالمي.

يُطلق على أوكرانيا لقب “سلة خبز العالم” لسبب وجيه؛ حيث إنها تطعم مئات الملايين من الناس في جميع أنحاء العالم، باعتبارها خامس أكبر مصدر للقمح، ومصدر رئيسي للذرة والشعير، كما أنها مسؤولة عن 50 بالمئة من سوق زيت دوار الشمس. في الواقع؛ تمثل أوكرانيا حوالي 6 بالمئة من التجارة الزراعية في جميع أنحاء العالم، كما يوضح جوزيف جلوبر، زميل وباحث أول في المعهد الدولي لبحوث السياسات الغذائية في واشنطن.



ويمر ما لا يقل عن ثلاثة أرباع هذه الصادرات الزراعية عبر منطقة أوديسا، وقال جلوفر لصحيفة الإندبندنت: “البلد كله مغلق للتدفق عبر أوديسا، ولهذا السبب من الصعب للغاية الآن”.

الحصار الروسي لجزء كبير من البحر الأسود وبحر آزوف -وكذلك الاستغلال الدفاعي الأوكراني للمياه حول الساحل الذي لا تزال تحتفظ به- يعني أن أيًا من الموانئ الأوكرانية لا تعمل، على الرغم من أن بعضها لا يزال سليماً نسبياً.

ويقول جلوفر: “لا يمكنهم نقل المنتجات برّاً عن طريق السكك الحديدية إلى موانئ بحر البلطيق أو رومانيا أو بلغاريا أو كرواتيا، وهي البلدان التي تم عرضها، حيث تدعي السلطات الأوكرانية أن النقل بالقطار يضاعف أربع مرات تكلفة النقل. ولكن يمكننا أن نرى تأثير ذلك الآن فأسعار الحبوب مرتفعة للغاية”.

وأدى هذا التضيق على صادرات الحبوب الأوكرانية، جنباً إلى جنب مع القضايا العالمية الأخرى مثل تأثير الحرب على الصناعة الزراعية في روسيا، والجفاف في الولايات المتحدة وكندا، إلى ارتفاع أسعار القمح بأكثر من 50 بالمئة هذا السنة. هذا يهدد بالمجاعة في أماكن مثل اليمن الذي مزقته الحرب، والذي يستورد كل قمحه ولا يمكنه استيعاب هذا النوع من ارتفاع الأسعار.

كما أنها مساهم رئيسي في ارتفاع أسعار الغذاء العالمية إلى أعلى مستوياتها على الإطلاق في شهر مارس/ آذار، وسوف يزداد هذا الأمر سوءاً مع استمرار الحرب.

حالياً؛ هناك بالفعل 20 مليون طن من الحبوب محجوبة في أوكرانيا، وفقاً لأورسولا فون دير لاين،

رئيسة المفوضية الأوروبية، التي اتهمت روسيا مؤخرًا باستخدام الجوع كسلاح.



يبدأ حصاد القمح الجديد في أوكرانيا في غضون شهر، والسؤال الكبير هو إلى أين سيذهب الحصاد الطازج للحبوب، وكم سيؤثر على العالم إذا لم يكن من الممكن تصديره، حيث يقول جلوبر: "يمكن أن يكون لدينا ما يصل إلى 62 مليون طن من الحبوب التي يتعين على أوكرانيا تخزينها أو التعامل معها بطريقة ما".

ويشير إلى أن الناس يسعون جاهدين لإيجاد طرق لنقل الفائض دون الحاجة إلى الاعتماد على البحر، وحتى إحياء خطوط السكك الحديدية السوفيتية القديمة التي تمر عبر رومانيا. "لكن كل هذا يستغرق وقتًا واستثمارًا، حتى في ظل أفضل الظروف، لن نشهد انخفاضًا في الأسعار حتى منتصف سنة 2023 على الأقل".

مع العلم بذلك؛ بدأت روسيا بالفعل في الاستفادة من موقف تفاوضي قوي؛ حيث عرضت فتح الموانئ مقابل رفع الغرب للعقوبات الشديدة. كما استكشف الرئيس بوتين مكاسب أخرى محتملة؛ حيث قال للتلفزيون الرسمي الروسي في مقابلة ليلة الجمعة إن أوكرانيا يمكنها تصدير الحبوب من الموانئ، بما في ذلك أوديسا، إذا قامت بتطهيرها، مما يحرم الساحل من خط دفاعها الرئيسي.

حتى الآن؛ لم تدعن أوكرانيا، وتقود تركيا محادثات دبلوماسية مع موسكو لمحاولة تحرير مخازن الحبوب للنقل، فيما اتهمت أوكرانيا روسيا بسرقة إمدادات الحبوب من المنطقة التي تسيطر عليها؛ وهي مزاعم وصفها وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن بأنها ذات مصداقية، وطلبت المملكة المتحدة التحقيق فيها.

وتزايدت المخاوف هذا الأسبوع فقط عندما قال وزير الدفاع الروسي سيرجي شويغو إن مينائي بيرديانسك وماريوبول الأوكرانيين، الخاضعين الآن لسيطرة موسكو، قد تم إزالة الألغام منهما وهما جاهزان لاستئناف شحنات الحبوب.

وقد نفت موسكو سرقتها للحبوب، وألقت باللوم على العقوبات الغربية في الموقف الذي هدد بإثارة أزمة غذاء عالمية.



ونفت أوكرانيا يوم الأربعاء تأكيدات وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف بأن موسكو لن تستغل الوضع لصالحها إذا سمحت كييف لشحنات الحبوب بالمغادرة بسلام عبر البحر الأسود ووصفتها بأنها "كلمات جوفاء".

وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية أوليغ نيكولينكو على تويتر: "نحن بحاجة إلى معدات عسكرية لحماية الساحل ومهمة بحرية لتسيير دوريات في طرق التصدير في البحر الأسود"، وأضاف: "لا يمكن السماح لروسيا باستخدام ممرات الحبوب لمهاجمة جنوب أوكرانيا".

على بعد 60 ميلاً فقط من الساحل، فوق جسر تم قصفه جزئياً، يعترف عمدة ميكولايف بشكل قاتم بأن بلدته والمنطقة المحيطة بها هي الحصن الرئيسي الذي يمنع أوديسا وجنوب أوكرانيا من السقوط.

يقول أولكسندر سينكيفيتش من أحد المقاهي، بعد ساعات قليلة من مقتل 10 أشخاص في أحد شوارع التسوق المزدحمة، على بعد بضعة مئات الأمتار، من جراء ذخيرة عنقودية مشتبه بها: "عليهم

التقدم في أوديسا. حاولوا من قبل تطويق بلدتنا وتجاوزها"، وأضاف مماًزحاً بمرارة: "إنهم يقصفوننا الآن مرتين في اليوم بالذخائر العنقودية غير القانونية في مناطق مدنية. يذهبون إلى البرية لأنهم يخسرون؛ إنهم يتصرفون كشريك سابق غاضب".

يسود هدوء غريب وغير مريح في المدينة؛ حيث يواصل المواطنون، الذين لا يعلمون ما يمكن أن يأتي من السماء، أعمالهم اليومية حتى يأتي الانفجار التالي.

عندما يُسمع دوي صفارات الإنذار من الغارات الجوية، تعثرت أمام ملعب للأطفال أين اخترق صاروخ محروق الأرض بجوار المراجيح -يبدو لي مثل قسم الشحن في "سميرش" الذي سيحمل القنابل الصغيرة المحظورة.

تم قصف أحد المستشفيات الرئيسية في الليلة السابقة، والبنى الإداري الرئيسي به حفرة عملاقة أحدثتها غارة جوية، ووحدات العناية المركزة بمستشفى آخر تعج بجرحى الهجوم على وسط المدينة.

يقول العمدة متبرما: "إنهم يريدون تخويفنا حتى نستسلم. إنهم يريدون إرساء الأساس لإعادة القوات، ويريدون إبقاء الصادات متوقفة."

مصدر قلق آخر هو التموضع الإستراتيجي لمنطقتي ميكولايف وأوديسا على الطريق المؤدي إلى مولدوفا.



وتتصاعد التوترات في ترانسنيستريا المجاورة، وهي منطقة انفصالية تدعمها روسيا على الحدود الجنوبية الشرقية لمولدوفا مع أوكرانيا والتي تضم ما يقدر بنحو 460 ألف شخص.

إذا كانت روسيا قادرة على عبور ميكولايف ثم أوديسا، والانضمام إلى المنطقة الانفصالية، فإنها ستعزل جنوب أوكرانيا تمامًا، بينما تقدم للروس نقطة انطلاق إستراتيجية لمهاجمة شمال وغرب البلاد، كما أنها ستقربهم من الجزء الشرقي من الناتو في رومانيا.

لا يزال هذا غير محتمل للغاية، بسبب التحصين القوي لأوديسا والمكاسب التي حققها الأوكرانيون في الأراضي الحدودية لميكولايف وخرسون، لكنها أثارت قلق البرلمانين من مولدوفا، التي على الرغم من أنها موالية للاتحاد الأوروبي، فهي ليست عضوًا في الناتو أو الاتحاد الأوروبي، وبالتالي لا تستفيد من أي أغطية أمنية كالتى يتمتع بها جيرانها الغربيون. وفي حديثه إلى وكالة الأنباء الأوروبية "إي يو أوبرزفر"، قال نواب مولدوفا إنه يتعين عليهم مواجهة الواقع المتمثل في أنه إذا سقطت منطقة ومدينة أوديسا، فإن مولدوفا ستكون التالية. خوفًا من ذلك، سارعت البلاد إلى إعلان الحياد.

بالعودة إلى أوديسا؛ يعرف السكان أن هذه التهديدات لا تزال تلوح في الأفق، ولا يريد المتطوعون الافتراض أنهم نجوا من الأسوأ وأن الحرب لن تأتي أبدًا، ولذلك فهم منشغلون في نسج الشباك العسكرية وصنع أكياس الرمل والمولوتوف والسترات الواقية من الرصاص، ويواصل السكان المحليون تدريبهم.

ويقول نائب رئيس البلدية برينداك إن المدن الساحلية "كلها في قارب واحد مغمًا" وتعمل لمحاولة صد الاستيلاء المدمر على الجنوب، حتى مع سيطرة روسيا على الأرض في الشرق، يقول إن هناك الكثير على المحك.

قبل أن يختفي في عرض عسكري صغير يجري خلفه، يختتم كلامه قائلاً: "أريد أن أكرر كلمات رئيسنا. من الأرض إلى الغذاء، نحن في الخطوط الأمامية للحرب العالمية الثالثة. انها ليست فقط ضد أوكرانيا. إنه ضد المدنيين في أوروبا والعالم الأكبر".

المصدر: [الانديندنت](#)

رابط المقال : [/https://www.noonpost.com/44371](https://www.noonpost.com/44371)